

تفسير أبي السعود

النحل 41 قبل ذلك إذا أردناه طرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده أن نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون إما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإما جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما خطاب المعدوم أو تحصيل الحاصل أو يقال إنما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب التكوين فيه كما يفيد قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فإن المراد بالأمر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الإطلاق فيه بل إنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الأمر المطاع فالمعنى إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون ولما عبر عنه بالأمر الذي هو قول مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الإيجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والألباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول أو تشبيها له بجواب الأمر والذين هاجروا في ^أ أي في شأن ^أ تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلمهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول ^أ A وأخرجهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم بوأهم ^أ تعالى المدينة حسبا وعد بقوله سبحانه لنبؤنهم في الدنيا حسنة أي مباءة حسنة أو توة حسنة كما قال قتادة وهو الأنسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية وأما ما نقل عن ابن عباس أخذهم سهيل بن جندل وأبي وجبير وعائيس وخباب وعمار وبلال صهيب في نزلت أنها من هما B المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام فأما صهيب فقال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر B قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر B نعم العبد صهيب لو لم يخف ^أ لم يعصه فإنما يناسب ما حكى عن الأصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية إلى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في أصحاب الهجرتين على أن يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين وأما جعل رسول ^أ A من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه إثواءه حسنة أو لنزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل الشرق والغرب كافة ولأجر الآخرة أي أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر B أنه كان إذا أعطى

رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك ا ة تعالى لك فيه هذا ما وعدك ا ة تعالى في الدنيا
وما ادخر في الآخرة أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن ا ة تعالى يجمع
لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين